مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية المجلد(9)، العدد (1)، (جوان -2024)، ص 293-306
ISSN: 2602-5566 EISSN: 2716-8999

علاقة التأويل بالحجاج عند "شاييم بيرلمان"

The relationship of interpretation to argumentation according to " Chaïm Perelman"

ناصر حمزة [*1]، وفاء برتيمة [2]

[1] مخبر حوار الحضارات والعولمة LDCM. جامعة باتنة 1، (الجزائر). hamza.naceur@univ-batna.dz

[2] جامعة باتنة، (الجزائر). wafa.bertima@univ-batna.dz.

تاريخ الإرسال:2024/02/15 **تاريخ القبول:2024/05/11**

ملخص:

يتناول المقال علاقة التأويل بالحجاج ضمن ما يعرف بنظرية الحجاج البلاغي عند "شايم بيرلمان" الذي حاول إقحام التأويل باعتباره منهجا معاصرا لقراءة وفهم وتأويل مختلف النصوص والخطابات بما في ذلك الخطابات الحجاجية، وذلك سعيا منه إلى بناء نظرية متكاملة في الحجاج غايتها تحقيق حجاج موجه إلى مستمع كوني، هذا الحجاج يقوم على مجموعة من المقدمات المسلم بها كونيا والتي يجب تأويلها تأويلا يتحقق معه التفاهم وغياب الإكراه.

كلمات مفتاحية: حجاج؛ تأويل؛ مقدمات حجاجية؛ البلاغة الجديدة؛ شاييم بيرلمان.

Abstract:

The article deals with the relationship of interpretation and argumentation within what is known as the theory of rhetorical argumentation according to Chaïm Perelman, who tried to introduce interpretation as a contemporary approach to reading, understanding and interpreting various texts and speeches, including argumentative speeches, in an effort to build an integrated theory of argumentation its goal is to achieve directed argumentation to a universal audience, it is based on a set of universally accepted premises that must be interpreted in a way that understanding is achieved and coercion is absent.

Keywords: Argumentation; interpretation; argumentative premises; new rhetoric ; Chaim Perelman.

[*] المؤلف المرسل.

1- مقدمة :

يتناول هذا المقال دراسة العلاقة القائمة بين التأويل(Interprétation) والحجاج (L'argumentation) عند "شاييم بيرلمان" (Chaim Pereleman) ضمن إطار نظريته الحجاجية فقد أطلق "بيرلمان" على بحوثه الحجاجية وسما جديدا تحت مسمى "البلاغة الجديدة"، في محاولة منه إلى إعادة الاعتبار إلى البلاغة في إطار قراءة جديدة للبلاغة القديمة (La nouvelle Rhétorque)، وقد تميزت النظرية البلاغية الجديدة في الحجاج بحداثة أفكارها، إضافة إلى كونها ذات خصائص إنسانية، كما أنها شملت ميادين العلوم الإنسانية والاجتماعية، باعتبار أن الحقل الاجتماعي هو الحياة اليومية للناس وقيمهم، ولأن النهاية والهدف من الحجاج هو إحداث تأثير في المتلقي سواء بالإقناع أو الزيادة في ذلك، هذا الهدف لا يتحقق إلا بالوصول إلى درجة من تحقيق للفهم والتفاهم وتجاوز لسوء الفهم، يضع "بيرلمان" مجموعة من المقدمات الحجاجية هي بمثابة معطيات مقبولة ومسلم بها من قبل من يوجه إليهم الخطاب، ومن الأمور المتعلقة باختيار المقدمات الحجاجية وطريقة عرضها مسألة تأويل هذه المعطيات، لذلك تعد التأويلية أحد أهم الأسس التي ارتكزت عليها البلاغة الجديدة عند "بيرلمان"، على اعتبار أن التأويلية في الحجاج مفادها ضرورة الانطلاق من اللغة في مقام وسياق معين ثم تفكيكها والغوص فيها لأجل الوصول إلى مكوناتها الأساسية وعلاقتها بالمتكلمين والمستمعين، لذا يعتبر "بيرلمان" التأويل بمثابة الجهد الضروري الذي يمكننا من الحد من سوء التفاهم ومن فهم المرسلة(Envoyé)بشكل ملائم، لإرادة مرسلها، لذا يمكن صياغة إشكالية هذا المقال على النحو الآتي :

ما علاقة التأويل بالحجاج ضمن النظرية الحجاجية عند "شاييم بيرلمان"؟ وكيف ساهم التأويل كآلية منهجية في نجاح العملية الحجاجية؟

2-مفهوم الحجاج:

يعد الحجاج من المفاهيم والمصطلحات العصية من ناحية التأصيل اللغوي وحتى الاصطلاحي، فبناء تصور مفاهيمي لهذا المصطلح المعبر عن النشاط الإنساني اللغوي ليس بالأمر الهين، نظرا لتعدد الزوايا التي تم النظر من خلالها إلى الحجاج من طرف الدارسين له، إضافة إلى ذلك التقاطع والتداخل بينه وبين عديد المصطلحات القريبة منه، وعلى سبيل المثال لا الحصر (البلاغة، الخطابة، الجدل، الاستدلال...) وسنحاول أن نستعرض بعض المفاهيم المتعلقة بالحجاج ودلالته اللغوية والاصطلاحية.

2-1- التعريف المعجمي للحجاج في الثقافة العربية:

في حقيقة الأمر لا يكاد يخلو معجم لغوي سواء كان عربيا أو أعجميا إلا ووردت فيه لفظة الحجاج، لما لها من أهمية بالغة، ففي مختلف المعاجم اللغوية العربية نجد للفظة الحجاج دلالات مختلفة تكاد تصب كلها في معنى (القصد، الخصومة، الجدل، الغلبة، الاستدلال والظفر....) ومن

ذلك تعريف (الخليل بن أحمد الفراهيدي) في معجمه العين بقوله "والحج كثرة القصد إلى من يعظم. قال: حجوا عمامته أي عظموه (...) والحجة الظفر عند الخصومة، وجمع الحجة حجج والحجاج المصدر." (الفراهيدي، د ت، الصفحات 09-10).

وقد وافق كل من (ابن منظور) في كتابه لسان العرب و(الجوهري) في الصحاح ما ذهب إليه الفراهيدي على اعتبار أن الحجاج يفيد القصد.

أما (الزبيدي) فقد زاد عما ذهب إليه الفراهيدي وابن منظور والجوهري: فالقصد عنده إحدى دلالات الحجاج وزاد عنهم، فقد أورد عدة دلالات للفعل حجج. إذ يقول: الحج يعني الكف عن الشيء. وقد يعني القدوم وقد يعني الغلبة بالحجة، وقد يعني كثرة الاختلاف والتردد. (الزبيدي، د ت، الصفحات 459-460).

أما في القرآن الكريم فقد وردت لفظة الحجاج في عدة مواضع منه، وأفادت في كل موضع من هذه المواضع معنى معين، فوردت بمعنى القصد في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾(القرآن، آل عمران ، الآية 97) ،ووردت بمعنى الخصومة في قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ " (القرآن، البقرة، الآية 258) ، ووردت بمعنى الجدال في قوله: ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾(الكريم، آل عمران، الآية 20)، ووردت في آيات أخرى بمعنى الدليل والحجة، وعموما سواء في المعاجم اللغوية أو في القرآن الكريم، وردت لفظة الحجاج بمعان مختلفة منها ما يدخل في فعل الحجاج ومنها ما يبتعد عنه.

2-2-التعريف المعجمي للحجاج في الثقافات الغربية:

جاء في القاموس الفرنسي" لاروس" أن لفظة (argumentation) لفظة مشتقة من الكلمة اللاتينية(argumentation) وأن الفعل حجج (argumenter) يدل على معنيين: المعنى الأول أنه مجموعة من الحجج، أما المعنى الثاني فيدل على أنه مجموعة من التقنيات الخطابية موجه إما إلى إثارة اعتقاد أو الزيادة في هذا الاعتقاد، وأن نجعل من المتلقي متشبثا بالأطروحات المقدمة إليه. (argumentation dictionnaire de francais larousse)

وجاء في قاموس كامبردج (cambridge) أن الحجاج هو "الحجج التي تعلل أو تبرر مساندتك أو معارضتك لفكرة ما، أي أن الحجاج هو ما تؤيد به فكرتك أو موقفك إزاء موضوع معين إما بالإيجاب أو السلب.

ومن خلال الاطلاع على هذين التعريفين وغيرها من التعاريف المعجمية في الثقافة الغربية نخلص إلى أن هذه التعاريف تشترك في الخاصية التأثيرية والإقناعية للحجاج، بالإضافة إلى الطابع العقلاني والمنطقي له.

2-3- التعريف الاصطلاحي للحجاج:

2-3-1-في المنجز الاصطلاحي الغربي:

يشير كل من "بيرلمان" و عالمة الحجاج البلجيكية" أولبريخت تيتيكا" (Olberechts-Tyteca)إلى أن الحجاج يستلزم الحوار والإقناع والاختلاف والتسامح والتعايش والاعتراف بحرية الآخر في الفكر والمعتقد، أي أن الحجاج ضد العنف وضد الإكراه، فهو يشكل حالة من الحرية سواء في الادعاء أو الاعتراض ويحصر كلاهما الحجاج في" درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم، مما يعرض عليها من أطاريح، أو تزيد في درجة التسليم بذلك".(حمداوي، 2020، صفحة 10).

فمهمة الحجاج حسب "شاييم بيرلمان " هي جعل المتلقي أو المستمع إما أن يذعن لما يطرح عليه من آراء وأفكار أو أن تكون تلك الآراء والأفكار مقبولة لديه سلفا، ولكن يزيد في درجة الإقناع والإقرار بها، ويجدر الذكر أن الطريقة المتبعة في عرض الحجج في العملية الحجاجية يجب أن تتسم بالمنطقية والعقلانية، فحمل الغير على قبول ما نفرضه أو رفضه متوقف على مدى الطريقة التي نمارس بها العملية الحجاجية.

أما"أوزفالد ديكرو(oswald ducrot)"فيفيد الحجاج لديه " تقديم المتكلم قولا أو مجموعة من الأقوال يقضي بالتسليم بقول آخر أو مجموعة من الأقوال، فالقول الأول يمثل الحجة التي يصرح بها المتكلم، والقول الثاني يمثل النتيجة". (العزاوي، 2009، صفحة 21)

2-3-2- في المنجز الاصطلاحي العربي:

المنجز الاصطلاحي العربي في مفهوم الحجاج ثري شأنه شأن المنجز الغربي، لذا سنقف عند نموذجين للتوضيح، التعريف الأول يخص الباحث في الدرس الحجاجي (أبو بكر العزاوي) الذي ينظر إلى الحجاج على أنه: "إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها"(بوبكر العزاوي ، 2006، صفحة 16)

حسب هذا التعريف هناك مجموعة من الحجج التي تفضي إلى نتيجة معينة في علاقة منطقية ضمن خطاب طبيعي، أي أن الحجاج يقع ضمن مجال اللغة الطبيعية لا اللغة الرمزية.

أما التعريف الثاني فهو لـ: (علي الشبعان) والذي يرى أن الحجاج " بنية لغوية مركبة تنفعل بالمقومات وتتأثر بالسياق، كما تصور الحجة كيانا مجردا وهيكلا فارغا يشغله المحاج/ المسؤول عن التصورات والمواقف التي تتوافق ومبادئ اعتقاده وتتوازى مع مراجع المذهب الذي ينتمي إليه فكره ويبن تصوراته للعالم والأشياء" (حمداوي، 2020، صفحة 11)، يؤكد هذا التعريف أن الحجاج مفهوم مركب من أجزاء هي المشكلة للعملية الحجاجية (الباحث، المتلقي، الحجج، العلاقات، الروابط...) كما أن الحجاج ليس بالعملية المنطقية الصارمة، بل عملية تمتاز بالمرونة، لذا فهو ينفعل بالمقومات ويتأثر بالسياقات المختلفة، فلكل مقام ولكل سياق حجاج يليق به،

والحجة في بعدها التصوري المجرد هي إطار فارغ، أو بتعبير آخر هي قالب فارغ والمحاجج هو من يملؤه إما (التصورات، المعتقدات، المبادئ والمرجعيات) التي تتوافق وفكر المتلقي.

إذا الحجاج عموما سواء في المنجز الغربي أو المنجز العربي هو عبارة عن " آليات وأساليب وعمليات وروابط لغوية ومنطقية وجدلية وفكرية وتداولية وخطابية... وأن الحجاج مرتبط بالمتكلم والمخاطب والمقصدية (Intentionnalité)، والاستلزام الحواري (Lmppératif dialogique)

3-معنى التأويل وأهميته:

3-1 المعنى اللغوي للتأويل

إذا ما عدنا إلى الاشتقاق اللغوي للفظة التأويل، نجد أن هناك شبه اتفاق بين المعاجم والقواميس اللغوية، في أن لفظة التأويل مشتقة من الفعل "آل"، "يؤول"، "إيالة"، والذي يعني العود والرجوع إلى الشيء، وهذا الذي ارتضى ابن منظور، فقد ذكر صاحب لسان العرب "وأما التأويل فهو تفعيل من أول يؤول تأويلا، وثلاثيه آل يؤول، أي رجع وعاد"(ابن منظور، صفحة 32)، وقد يعني التأويل كذلك التفسير وهو ما ارتضته طائفة من طائفة من اللغويين، والمفسرين على السواء، على غرار ما ذهب إليه الإمام "الرازي" والإمام "الطبري" وكذا "ابن منظور" في أحد أقواله على اعتبار أن التأويل هو تفسير لما تختلف حوله من الكلام، وإن كان طائفة منهم ذهبوا إلى القول بالاختلاف بين التأويل والتفسير وهو ما ذهب إليه الجرجاني في كتابه "التعريفات"، على أساس أن التفسير في حقيقته وجوهره هو الإيضاح وهو ما صرح به القرآن الكريم في قصة يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ﴾ (القرآن، سورة يوسف، الآية 100)، فالشاهد هنا أن التأويل نعني به الشرح والإيضاح، إيضاح ما هو غامض ومبهم، وقد ورد في بعض المعاجم ما يفيد بأن التأويل هو الإصلاح، ولكن ما يهمنا في هذه الدراسة هو التأويل الذي نريد به الإيضاح والتفسير والفهم.

أما بالنسبة لهذا المفهوم في الفلسفة الغربية، فأصل الكلمة وجذرها يعود إلى الفعل اليوناني (Hermenuein) والتي يراد بها (يفسر) والاسم (Hermemeia) والذي يعني (تفسير)، ويشير كلا المصطلحين إلى الإله "هرمس "، هذا الأخير يشار إليه في الميثولوجيا اليونانية، أنه رسول الآلهة وحامل رسائلها إلى البشر ويعرف (أفلاطون) في محاورة "كراتيليوس" على لسان "أرسطو": "أنه عمود التفسير والتأويل، ويربط اسمه بإلقاء الخطابات الترجمة، لغة السارقين الرمزية والسرية، التضليل ولغة التجار"(أمير حسين مدني، صفحة 18)، وقد تم إحياء الهيرمينوطيقا في الفلسفة الغربية على يد الفيلسوف الألماني (شلاير ماخر)، ثم شاع المصطلح على يد كبار الفلاسفة الغربيين في إطار جهودهم في مجال فقه اللغة، ودراسة النصوص الدينية والفلسفية والأدبية أمثال "هيغل"، "غدامير"، "بول ريكور".....الخ.

2-3- المعنى الاصطلاحي للتأويل:

على غرار التعريف اللغوي تباينت واختلفت المفاهيم الاصطلاحية للتأويل، تبعا لتباين الرؤى الفكرية وكذا الاختلاف في المناهج والخلفيات المعرفية والأيديولوجية وهذا الاختلاف حاصل في التراث العربي الإسلامي وكذا التراث الغربي على السواء، ففي التراث العربي الإسلامي ارتبط التأويل بمجال القرآن وعلومه وكذا علم الكلام، وأصول الفقه، والتصوف... ففي مجال النص القرآني عرف التأويل عند الإمام الجويني على أنه "صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها، تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط"(مرزوق العمري، 2012، صفحة 94)، ويشترك هذا المعنى مع التعريف الذي قدمه "الغزالي" و"الآمدي" على اعتبار أن التأويل هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر يحتمله لوجود قرينة، وحتى التعريفات التي قدمها الفلاسفة وعلماء الكلام لا تبتعد كثيرا عن هذا المعنى، على اعتبار أن التأويل هو الانتقال من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية أو عند الانتقال من الظاهر إلى الباطن.

أما بالنسبة للتراث الغربي، فإن الهيرمينوطيقا (Herménetique) لم تكن ذات طابع ساكن فهي لم تقف على دلالة ومعنى معين، بل عرفت ديناميكية نظرا للتحولات التي طرأت على المصطلح، فقد ارتبطت الهيرمينوطيقا بتفسير النصوص الشعرية "هوميروس" وقد أشار "أفلاطون" إلى ذلك عندما رأى أن ملحمة الراوي الذي يروي القصائد الشعرية أو النثرية هي تأويل تلك القصائد والأشعار قصد الوصول إلى الحقيقة، كما كان حضور التأويل في الفلسفة الأرسطية وحضور بارز من خلال مقالته الثانية من كتابه "الأورغانون" والتي أسماها "في التأويل"، والتأويل عند أرسطو هو "كل ما يرسل عن طريق الصوت ليكون معنى أو دلالة معينة"(عبد الغني باره، 2008، صفحة 116).

وبعد ظهور المسيحية اتجهت الهيرمينوطيقا نحو النصوص المقدسة محاولة فهمها وتفسيرها، وفق قواعد معينة، وتعتبر أدق أنها تأويل مخصوص لنص مخصوص، ويبدو أن الهيرمينوطيقا ظلت لعقود حبيسة النص الديني، إلى غاية بروز الفيلسوف الألماني (Schleier macher) الذي حرر الهيرمينوطيقا من كونها تأويل للنص الديني فقط لتصبح فنا يعنى بظاهرة الفهم، ثم تطور المصطلح بشكل أوسع ليصبح مع "دلتاي"(Delthey) مرتبطا بمجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، فقد فصل "دلتاي" بين الفهم والتفسير، فجعل من الفهم أداة لفهم العالم الإنساني أو التجربة الإنسانية وجعل من التفسير أداة لفهم العلم الطبيعي، أما بالنسبة لـ (Ghadamir)"غادمير" فقد حاول إخراج المعنى الهيرمينوطيقا من طابعها الإبستمولوجي إلى طرح جديد قائم على تعدد المعاني والمفهوم، وبذلك يكون قد فتح باب التأويلات المتعددة باختلاف القراءات وتنوعها أم بالنسبة لـ "هيدغر" (Heideggar)فقد وظف التأويل على المستوى الوجودي،

واعتبره المنهج الأقوم لتأويل العالم وتأويل الذات لذاتها أو لما يحيط بها، أما بالنسبة لـ "بول ريكور"(Paul ricoeur)فقد جعل من الهيرمينوطيقا أداة لتحرير النصوص سواء من المؤلف أو القارئ وبذلك يكون قد فتح الباب أمام عديد التأويلات باختلاف القراءات، ومدى فهم المتلقي للنص.

4- أهمية التأويل في الحجاج:

إن أهمية التأويل مسألة واسعة سعة تعدد معنى التأويل ومجالات استخدامه، ولكن سنقتصر في هذه الدراسة على ذكر أهمية التأويل بما يتناسب وطبيعة موضوع الدراسة، ويمكن حصر هذه الأهمية في مجموعة من النقاط الآتية:

* بما أن النص أو الخطاب الحجاجي هو خطاب لغوي بالأساس، فإن اللغة هي الكيان الوحيد الذي يتمظهر في التأويل، واللغة الطبيعية "...تكتنه جل الثقافات البشرية، ففيها تسكن المفاهيم والمنطقية وبها تتجلى جماليات الإبداع...فاللغة آفاق كثيرة لا متناهية}(إبراهيم أحمد، 2008، صفحة 121)، ولأن الحجاج بالأساس هو جوار وتواصل ومناقشة حول كل هذا الذي تتضمنه اللغة من (ثقافة، إبداع، أفكار، معتقدات، آراء...)، فلا شك أن إقحام التأويل أصبح ضرورة ملحة. في حين النقطة الموالية تؤكد: {* إن اللغة الطبيعية لا تفصح دائما عن ما تعنيه بصورة واضحة ودقيقة، أي أن هناك حضور دائم للغموض وعدم الوضوح، ومهمة التأويل هو إزالة اللبس والغموض عن ما تعنيه اللغة، وهذا الأمر يساعد في تجاوز الاختلاف والصراعات التي قد تحدث أثناء المناقشات والحوارات الحجاجية.

* إن غاية التأويل هو تحقيق الفهم وتجاوز سوء الفهم والوصول إلى درجة من التفاهم ويبدو أن مهمة التأويل هي نفسها مهمة الحجاج، ويساهم التأويل داخل الخطابات الحجاجية إلى تحقيق الفهم عن طريق رفع اللبس والغموض إما عن طريق تأويل العبارات اللغوية أو حتى عن طريق تأويل المقاصد، مقصد المتكلم أو المستمع على السواء، وبذلك يكون قد اختصر الوقت والجهد لتجاوز سوء الفهم وتحقيق التفاهم.

*يشترك الحجاج والتأويل في غرضين أساسيين هما التأثير والإقناع.

فغاية الحجة هو التأثير النفسي والإقناع العقلي للآخرين، وهي نفس غرض التأويل عندما يتدخل فيزيح الغموض عن النص أو الخطاب.

5- مجال الحجاج عند"شاييم بيرلمان"

لقد وسع "بيرلمان" مجال الحجاج عنده ليشمل جميع الميادين والمجالات، وبالأخص مجال العلوم الإنسانية وربما هذا الاهتمام بمجال العلوم الإنسانية والاجتماعية له ما يبرره فمجال العلوم الإنسانية والاجتماعية مجال لا يخضع لليقينيات والاستدلالات المنطقية الصارمة كما هو الشأن في العلوم الطبيعية التي تخضع للبرهان العلمي والمنطقي الصارم، والحجاج كما هو معروف

لا يزدهر إلا في مجال الاختلاف الذي ينشأ حوله مناقشة وجدل، هذه المناقشة قائمة على عرض الحجج والأدلة "يركز بيرلمان اهتمامه على الحجاج: قضاياه، أطره، روافده، أنواعه تجلياته بحسب مقامات التوظيف وسياقاته كما أنه يولي عناية خاصة لبلاغة الحجاج في المجالات المرئية إعلاميا وفي الخطابات الفنية التي لا يكون المتكلم حاضرا فيها بنفسه أو بصورته أمام مخاطبه"(محمد سالم محمد الأمين الطلبه، 2021، صفحة 108).

إن توسيع "بيرلمان" لمجال الحجاج جعل بعض النقاد على غرار "كريستان بلانتين "(Christion plantin) يعتبر بيرلمان بمثابة المؤسس الفعلي للحجاج القانوني والحجاج الخطابي وكذا الحجاج العلمي، لقد استطاع "بيرلمان" أن يتجاوز النظرية الحجاجية لـ "أرسطو" وتحديدا الأجناس الثلاثة للخطابة الأرسطية (التشاورية، الخطابة الاحتفالية، الخطابة القضائية).ليجعل من نظرية الحجاجي تشمل الإنسانية جمعاء، بل إن نظريته في الحجاج لم تهمل حتى الحجاج الذاتي الذي يقوم على حوار الشخص مع نفسه بطريقة حجاجية، هذه البلاغة البيرلمانية استطاعت أن تغطي كل أشكال الخطاب، ابتداء من الخطاب اليومي إلى الفلسفة والأدب، والقانون، والعلوم الإنسانية.

إن توسيع بيرلمان لمجال الحجاج ليشمل مجال العلوم الإنسانية هو ما جعله يقحم فعل التأويل ضمن نظريته الحجاجية، فالفعل الإنساني لا يشبه الظواهر الطبيعية ولا القضايا العلمية، إنه فعل حر، فعل مرتبط باللغة لا يمكن تفسيره، بل يمكن فهمه عن طريق تأويله.

لقد أدى توسيع "بيرلمان" لمجال الحجاج إلى اعتماد مجموعة من المقدمات (Des Promesses) والتي لا يتم الحجاج إلا بها، فالتأثير في الجمهور لا يتحقق إلا من خلال هذه المقدمات فهي بمثابة نقطة انطلاق للاستدلالات الحجاجية، وتعتمد المقدمات الحجاجية عند "بيرلمان" على الحس المشترك (Les sens commun) وهي ليست واحدة، بل متعددة ومختلفة باختلاف مجالات الحياة وهي ضرورية سواء بالنسبة "للمرسل" أو "المستقبل" فلابد من إتقانها لتتناسب ونوعية المستمع، والمقام والسياق العام للخطاب الحجاجي مما يساعد في عملية تأويلها صحيحا، وقد أجملت النظرية الحجاجية عند "بيرلمان" هذه المقدمات (Propositions de deport) في ستة مقدمات (الوقائع، الحقائق، الافتراضات، القيم، الهرميات، الموضع).

إن الوقائع والحقائق هي بمثابة العناصر الموضوعية التي تفرض نفسها على الجميع باعتبارها مسلمات يتفق ويتوافق عليها المجتمع كونها مستمدة، إما من اللغة وإما من الحس المشترك، ولا يمكن أن نطلق على أي شيء اسم واقعة أو حقيقة إلا إذا سلمت من الطعن أو الرفض تشكل الوقائع والحقائق سلطة على السامع مثل الحقائق الدينية (اليقينيات) أو الحقائق العلمية.

أما بالنسبة للافتراضات فهي أقل وثوقية وقطعية من الحقائق والوقائع إلا أنها تمتلك من المعقولية ما يجعلها تحظى بالموافقة العامة إضافة إلى أن المحاجج أثناء مسار العملية الحجاجية

يحشد من الأدلة ما يكفيه لتأكيد هذه الافتراضات، ومثال ذلك أن رجال الدين عادة ما يعرف بالصلاح والنزاهة ولكن هذا الافتراض قد يمكن دحضه على اعتبار أن هناك رجال دين فاسدين.

أما بالنسبة للقيم والتي تمثل نظرتنا للأشياء، ففي علاقتنا بالأشياء أو إزاء مواقف قد ترفع من قيمة هذه الأشياء أو قد نحط منها، فنحن نعبر بالكلمات أن هذا جيد أو قبيح لذا فمواقفنا تتأرجح بين الصواب والخطأ والجيد والقبيح، والقيم حسب "بيرلمان" تكون محل إجماع قبل تحديدها أي في صورتها المجردة، أما إذا تم تحديدها فإنها تصبح موضع رفض واعتراض، فالعدالة كقيمة مجردة هي محل وفاق واجتماع ولكن العدالة التي أعدمت سقراط هي محل رفض واعتراض. وتعد القيم عنصر أساسيا من عناصر الحجاج حيث تؤدي دورا مهما وفعالا في بناء الثقة بين المتحاورين.

أما بالنسبة للتراتبيات أو الهرميات مرده إلى أن القيم الإنسانية أو الأشياء كقيمة ليست على درجة واحدة، بل هناك اختلاف بين هذه القيم، فهذه الأخيرة تقوم على تراتبية وهرمية لذا ينبغي لنا البحث عن القيم المشتركة الشبيهة بالاحتمالات وإقحامها في العملية الحجاجية لأنها ترتقي إلى مرتبة الوقائع والحقائق من حيث الاتفاق والثبات. وهكذا فإن (الوقائع والحقائق والاحتمالات والقيم والتراتبيات) مسلمات يقوم عليها الحجاج، وتمثل نقطة انطلاقه، ونجاح العملية الحجاجية تحتاج إلى تأويل هذه المقدمات تأويلا صحيحا ومعقولا وأي فشل في تأويل هذه المقدمات الحجاجية يؤدي إلى سوء الفهم وبالتالي إخفاق وفشل العملية الحجاجية.

6- المقدمات الحجاجية وعلاقتها بالتأويل:

لقد ذكرنا سابقا أن مسألة اختيار المعطيات الحجاجية له ضوابط وقواعد معينة لابد منها، لابد من الإشارة إلى أن مسألة اختيار المعطيات الحجاجية ذات علاقة وطيدة بالتأويل، فالفعل الحجاجي والفعل التأويلي فعلان متلازمان لا يكادان ينفصلان عن بعضهما البعض، بل يمكن أن يعرف الحجاج على أنه تأويل بالدرجة الأولى ولذلك عدت المدرسة التأويلية من بين أهم المدارس التي ساهمت في بعث الحجاج. ويأتي إقحام التأويل في الحجاج من جهة أن اللغة التي يعنى بها الخطيب هي لغة طبيعية مفهومة من قبل المستمعين "...إن الوقائع المستحضرة تتضمن علاوة على ما هو معطى، طريقة تأويلها ووصفها. هذا التقابل بين المعطى والتأويل يمكن من فصل العناصر الناتجة عن تأويل عن العناصر التي يوجد حولها اتفاق، وهو يطرح نفسه حين تجعلنا تأويلات غير متلائمة، تتردد في كيفية فهم معطى معين"(هاشم، 2014، صفحة 52). وما يقصده "بيرلمان" من خلال هذا النص أن العلاقة بين الدال والمدلول أو بين الغرض الحجاجي وبين ما نقصده من معنى هو احتمالي ونسبي، وقد ذكرنا هذه المسألة في العلاقة بين الحجاج والبرهان، فتوظيف الخطيب معطى حجاجي من المعطيات التي ذكرناها سواء كانت (وقائع أو حقائق أو إفتراضات أو قيم...)، وهذه الاحتمالية في المعنى تسمح لنا بعزل تلك العناصر التي هي موضع اتفاق

من تلك العناصر التي يمكن أن تكون موضع جدال ونقاش، بل إن هذه الاحتمالية في المعنى هي من يسمح بإقحام التأويل في الحجاج.

إن المعطيات الحجاجية تشبه النصوص، فالنص الواضح يكون معناه واضح، ولا نرى فيه سوء تأويل واحد صائب، ولكن يحدث هذا في غياب التعددي في التأويلات، فإذا أفسحنا المجال لتعددي التأويلات فلا يوجد نص واضح لأنه لا يوجد بالأساس تأويل واحد، فأحيانا يجد الإنسان نفسه أمام نص مهما كانت طبيعة هذا النص، فيخيل إليه أنه قد فهم هذا النص ولكن بعد أن يقارن فهمه هو للنص بغيره من الفهم والتأويلات الأخرى، يجد نفسه أنه فاقد للفهم والتأويل الصحيح لهذا النص، وكذا الشأن نفسه بالنسبة للمعطيات الحجاجية، وفي هذا الصدد يقول "بيرلمان" إن مشاكل الدلالة والتأويل تطرح بصدد العلامات (Signes) وبصدد المؤشرات (indicateurs) تعني بالعلامة ظاهرة قابلة لاستحضار ما تعنيه، في نطاق استعمالها في فعل التواصل بغرض هذا الاستحضار وبالعكس تحيل المؤشرات على شيء آخر بطريقة موضوعية، ومستقلة عن أي إرادة للتواصل"(بيرلمان، 2022، صفحة 117).

لقد ميز "بيرلمان" في هذا النص يعني العلامة اللغوية والمؤشرات وربط هذا التميز بالفعل التواصلي وبالتأويل، فالعلامة اللغوية هي علامة إرادية لها معنى يقابلها وتهدف إلى التواصل في حين أن المؤشرات تحيل إلى شيء تحمل معنى واحد دون أن يكون هناك غرض للتواصل، كما أن التأويل الخاطئ للعلامات اللغوية يؤدي إلى سوء الفهم في حين التأويل الخاطئ للمؤشرات يؤدي إلى الخطأ أو الغلط، وكأن المؤشرات ما هي إلا ظواهر محايدة بعيدا عن أي دلالة أو تأويل، ويبدو أن "بيرلمان" من خلال تميزه بين العلامة اللغوية وبين المؤشرات يعيدنا مرة أخرى إلى التمييز الذي دعا إليه أنصار اللغة المثالية (اللغة الصناعية) والذي تتزعمه مجموعة من المفكرين العقلانيين (الفلسفة التحليلية) حيث طالب هؤلاء بضرورة تقريب اللغة الطبيعية من اللغة الرياضية، وجعل هذه الأخيرة نموذجا يحتذى به باعتبارها سعت وعلى مدار سنوات من البحث والتعديل إلى الوصول إلى معنى واحد ووحيد يقابل كل لفظ، هذا ما سيسمح بالقضاء على أي لبس أو غموض بين اللفظ والمعنى، وبالتالي تجاوز سوء الفهم الحاصل عن تأويل العبارات والجمل والألفاظ، ويرفض "بيرلمان" هذا النوع من الطرح كما رفض من قبل المطابقة بين البرهان والاستدلال، ومرد هذا الرفض أن اللغة الصناعية تصلح لعلوم معينة مثل الرياضيات وكل الأنظمة مثل المنطق وغيره، أما اللغات الطبيعية فأصلها الغموض وتتعدد التأويلات مثل "اللغة الفلسفية، الأدبية...".

بل إن البعض ذهب إلى حد اعتبار أن الألفاظ ما هي إلا سراب يختفي مباشرة أمام تعدد المفهوم والتأويلات. إن مشروعية التأويل في الحجاج عند "بيرلمان" مردها إلى كون الألفاظ لا تستطيع أن تفصح عن معنى الرسالة الاتصالية بشكل واضح، تختفي معه أي غموض فالحجج المستخدمة في أي خطاب حجاجي في حقيقتها هي حجج لغوية وبالتالي فإن هذه المرسلات ليست

واضحة مبدئيا، بل يكتنفها الغموض، وبالتالي يجب أن نبحث خارج هذه الألفاظ "...في الجملة والسياق وفيما نعرفه عن الخطيب ومستمتعة، وفي معلومات إضافية تمكن من الحد من سوء التفاهم ومن فهم المُرْسَلَة بشكل ملائم لإرادة مرسلها"(هاشم، 2014، صفحة 53)وما يبغيه "بيرلمان" أن طرفي الحجاج "المحاجج" و"المستمع" لا يجب أن يتوقف عند الألفاظ فقط أثناء العملية الحجاجية لأن هذا قد يعيق وقد يعرقل العملية الحجاجية بسبب عدم القدرة على تجاوز سوء التفاهم، لذلك لابد من البحث عن الفهم الصحيح للرسالة داخل جوانب أخرى من العملية الحجاجية، فهذه الأخيرة ليست فقط ألفاظ لغوية، بل ترتبط العملية الحجاجية بجوانب أخرى مثل السياق العام، المقام الحجاجي، الخطيب وفي معلومات ومعطيات أخرى قد تكون مساعدة في تحقيق الفهم، وقد كشف الدراسات البلاغية المعاصرة ما للمقام والسياق من دور كبير في نجاح العملية الحجاجية من حيث كون المقام عنصرا هاما في المنظومة اللغوية المشكلة للعملية الحجاجية، فالمقام بمثابة الخزان الحجاجي الذي يعتمد عليه في عمليات الفهم والإفهام وكذا في الإقناع والاقتناع وإلى جانب المقام يلعب السياق دورا بارزا في توليد المعاني المختلفة باعتبار أن السياق في معناه العام هو مراعاة الشروط الاجتماعية المتفق عليها هذه الأخيرة بمثابة معطيات مشتركة بين المرسل والمستقبل ويعتبر حجاجي بين (المحاجج) و(المستمع) إضافة إلى الثقافة والتجارب...، والشيء الذي نخلص إليه أن تجاوز سوء الفهم الناتج عن غموض الألفاظ يكون بالانتقال إلى هذه المكونات الحجاجية (المقام، السياق، المعطيات، والمعلومات الشائعة...) وإقحامها ضمن العملية الحجاجية، وتأويلها تأويلا صحيحا، بما يضمن الوصول إلى حالة الفهم وتجاوز سوء الفهم. "إن المحاجج عندما يهاجم نسقا تصوريا عند مخاطبيه ثم ينجح في حملهم على إدراك العديد من أوجه التأويل والاحتمال الممكنة لتلك التصورات فإنه يكون بذلك قد قطع شوطا جيدا في سبيل كسب رضاهم"، لذلك يمكن القول أن الجهد الحجاجي لـ "المحاجج" أو الخطيب يجب أن يتوزع على اختيار المعطيات الحجاجية باعتبارها مقدمات ضرورية في العملية الحجاجية هذا من جهة، ومن جهة أخرى يجب عليه أن يبذل مجهودا من أجل تأويل المعطيات الحجاجية الذي يرتضيه وأن يبين المعنى الذي يقصده، هذا الجهد التأويلي هو الذي يساهم في نجاح العملية الحجاجية وبلوغ مقصده.

إن البحث عن معلومات أخرى خارج الألفاظ من أجل الوصول إلى فهم صحيح للمرسلة سواء كانت (نص، خطابا، صوره...) من الأهمية بمكان وخصوصا إذا تعلق الأمر بتأويل النص الديني والنص القانوني حسب ما يراه "بيرلمان"، باعتبار المكانة والخصوصية والأهمية التي تحظى بها كل من النصوص الدينية والنصوص القانونية، فمثلا عندما نواجه نصا دينيا وهو حق ولكن من حيث اللفظ خاطئ، وجب تأويل هذا اللفظ تأويلا صحيحا من حيث المعنى، وما نقصده بالخطأ هنا ليس الخطأ اللغوي، بل الخطأ في التأويل والفهم، فمثلا عندنا في القرآن الكريم نقرأ النصوص

القرآنية،نجد أن الأخذ بحرفية النص وبمعناه الظاهر يدخل الإنسان في دائرة التجسيم لذا وجب تأويل النص تأويلا صحيحا بما يتناسب مع العقل والمنطق والخروج من دائرة التجسيم، بل إن المؤول حسب "بيرلمان" عليه أن يؤول النص أكثر من تأويل أو على الأقل بطريقتين مختلفتين، وهذا يساعد في فهم النص أكثر، وهذا الأمر ينطبق على النصوص القانونية، فالقاضي أحيانا يكون أمام حالات قانونية يستوجب إصدار حكم فيها ولكن القاضي قد لا يجد ضمن المدونات القانونية، القواعد التي يستند إليها لإصدار حكم قضائي أو قد تكون غامضة، هنا يجب على القاضي أن يؤول تأويلا للنصوص بشكل يمكنه من الفصل في تلك القضايا، حتى وإن كان هذا التأويل الجديد الذي قدمه مخالفا للتأويلات السابقة.

إن اللغة العادية أو بتعبير آخر اللغة الطبيعية تمتلك خاصية الانفتاح على تعدد المعاني والدلالات وبذلك فهي تتيح لنا اختيارات تأويلية عديدة "إن بعض استخدامات اللغة مثل الاستخدام الشعري لها تستلزم الانزياح عن المعنى الاعتيادي، فوحده الانزياح عن هذا المعنى يمنح للعبارة القيمة العاطفية المنشودة"(بيرلمان، 2022، صفحة 120)، ويبدو أن "بيرلمان" بتأكيده على توظيف اللغة الطبيعية في الحجاج جاء نتيجة لتلك التحولات التي شهدها علم الدلالة وعلم التأويل النصوص.

كما ذكرنا سابقا أن الاستعمال العادي للغة يعطينا احتمالات اختيار متعددة، هذه الخاصية هي ضمان لعدم الوقوع تحت إكراهات أحادية التأويل التي دعت إليها اللغات الاصطناعية.

إن التأويل في الحجاج عند "بيرلمان" يأتي ضمن علاقة جدلية بين المتكلم والمستمع، فالجمهور المستمع عليه تأويل أقوال المتكلم بما يتوافق ومقدمات الحجاج(الحقائق والوقائع والقيم والتراتبيات والافتراضات) باعتبارها مسلمات مقبولة لدى الجميع لأن أي تأويل لا يتوافق وهذه المقدمات قد يؤدي إلى سوء الفهم ونفس الشيء ينطبق على المتكلم، هذا الأخير وخلال مسار العملية الحجاجية عليه أن يضل متأرجحا بين الليونة تارة والتصلب تارة أخرى، من خلال تأويل كلام الجمهور المستمع أو قبول التأويلات المختلفة التي تصدر عن الجمهور حتى وإن كانت متعارضة.

خاتمة:

مما سبق تحليله يمكن القول أن الحجاج باعتباره درسا لتقنيات الخطاب والتي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بمختلف الآراء والأفكار أو الزيادة في درجة ذلك التسليم، مرتبط بالأساسي بالفعل الإنساني، لذا يجعل "بيرلمان" من تكيف الخطيب مع مستمعه قاعدة عامة والمبدأ الأول للتأثير في الجمهور. هذا التكيف لا يتحقق إلا إذا كانت المعطيات أو المقدمات الحجاجية مقبولة لدى الجميع، إلا أن هذا التوافق والاتفاق حول هذه المسلمات لا يكفي لحصول التفاهم بين أطراف العملية الحجاجية، لذا نجد أن "بيرلمان" يقحم التأويل كآلية منهجية لتجاوز أي سوء

للفهم قد يحصل بين المتكلم والمستمع، فتأويل المقدمات الحجاجية من (وقائع، وحقائق، فرضيات، قيم، تراتيبيات، مواضع) هو بمثابة الضامن لنجاح العملية الحجاجية، فالتأويل في النظرية الحجاجية عند "بيرلمان" هو جدل بين تأويل المستمع لكلام المتكلم، وتأويل المتكلم لاعتراضات وتفنيدات المستمع، هذا الجدل التأويلي يؤدي في الأخير إما إلى نجاح العملية الحجاجية، أو على الأقل تهذيب المناقشات والاعتراضات وتجاوز أي إكراه أو فرض للآراء والأفكار.

نتائج الدراسة:

- ✓ الاختلاف المفهومي لمصطلح الحجاج بين التراث العربي والتراث الغربي، ولكن على الرغم من هذا الاختلاف هناك اتفاق حول قيمة ومكانة الحجاج المعرفية.
- ✓ بروز التأويلية كمنهج لتأويل وفهم النصوص لتجاوز سوء الفهم وتحقيق التفاهم بما في ذلك النصوص الحجاجية.
- ✓ اعتبار "شاييم بيرلمان" ممثلا للاتجاه الحجاجي في البلاغة المعاصرة، هذا الاتجاه الحجاجي يهدف إلى إثارة وتوسيع نطاق إذعانية الأنفس للآراء والأفكار.
- ✓ توسيع "بيرلمان" لمجال الحجاج ليشمل العلوم الإنسانية والاجتماعية والقانونية.
- ✓ ترتكز البلاغة الجديدة عند "بيرلمان" على جملة من المقدمات الحجاجية هي بمثابة مسلمات (الوقائع، الحقائق، القيم، الافتراضات، التراتبيات) وهي ضرورية لتحقيق العملية الحجاجية.
- ✓ إقحام التأويل كآلية منهجية لفهم مقصد المتكلم ومقصد المستمع.
- ✓ نجاح العملية الحجاجية مرهون بنجاح تأويل المقدمات والمعطيات الحجاجية.

قائمة المراجع:

1. (بلا تاريخ). تم الاسترداد من *argumentation dictionnaire de francais larousse* :https/www.larousse.fr
2. إبراهيم أحمد. (2008). *أنطولوجيا اللغة عند مارتن هيدغر*. الجزائر: منشورات الاختلاف.
3. ابن منظور. *لسان العرب* (المجلد 11). بيروت: دار إحياء التراث الغربي.
4. أبو بكر العزاوي. (2006). *اللغة والحجاج*. الدار البيضاء المغرب: العمدة في الطبع.

*التوثيق العلمي دليل النشر العلمي*2012عمان الاردن دار المناهج للنشر والتوزيع

5. الحسين بنو هاشم. (2014). *نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان*. بنغازي ليبيا : دار الكتاب الجديدة المتحدة .
6. الخليل أحمد الفراهيدي. (د ت). *العين*. دار و مكتبة الهلال.
7. القرآن الكريم. (الآية 20). *آل عمران*.
8. الكريم القرآن. (الآية 97). *آل عمران* .

9. الكريم القرآن. (الآية 258). *البقرة*.
10. الكريم القرآن. (الآية 100). *سورة يوسف*.
11. *اللغة والحجاج*2009بيروت مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر
12. أمير حسين مدني. الهيرمينوطيقا قراءة في المحددات العامة. *مجلة أفكار الحياة الطبية ، 29*.
13. بوبكر العزاوي . (2006). *اللغة والحجاج*. الدار البيضاء المغرب: العمدة في الطبع.
14. جميل حمداوي. (2020). *أنواع الحجاج و مقوماته من حجاج أرسطو إلى حجاج البلاغة الجديدة*. المملكة المغربية: مطبعة تطوان.
15. شاييم بيرلمان. (2022). الإمبراطورية الخطابية، صناعة الحجاج والخطابة. بنغازي ليبيا: دار الكتاب الجديدة المتحدة.
16. عبد السلام الجعافرة. (2013). *التربية والتعليم بين الماضي والحاضر*. عمان الاردن: مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع.
17. عبد الغني باره. (2008). *الهيرمينوطيقا والفلسفة نحو مشروع عقلي تأويلي*. الجزائر: منشورات الاختلاف.
18. محمد سالم محمد الأمين الطلبه. (2021). *الحجاج في البلاغة المعاصرة*. بنغازي (ليبيا): دار الكتب الليبية.
19. محمد مرتضى الزبيدي. (د ت). *تاج العروس*. (مجموعة من المحققين، المترجمون) دار الهداية الكوكب.
20. مرزوق العمري. (2012). *إشكالية تاريخية النص الديني في الخطاب الحداثي العربي المعاصر*. بيروت (لبنان): منشورات ضفاف.